

*Dirassat & Abhath*  
The Arabic Journal of Human  
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث  
المجلة العربية في العلوم الإنسانية  
والاجتماعية

*EISSN: 2253-0363*  
*ISSN : 1112-9751*

## أبعاد فكر التسامح الإنساني لدى الأمير عبد القادر الجزائري

### Dimensions of the human tolerance ideology of The Emir Abdelkader

#### El-Djezairi

كركب عبد الحق، KERKEB Abdelhak

جامعة تيارت (الجزائر)، مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا

University of Tiaret (Algeria), Faculty of humanities and social sciences, Department of Human Sciences

ABDELHAK.KERKEB@univ-tiaret.dz

تاريخ القبول : 2021-10-18

تاريخ الاستلام: 2021-10-09

**الملخص:**

تميز الأمير عبد القادر على نظراء عصره من مختلف المشارب الإنسانية والعقائدية بتكوينه العائلي الديني، فتجمعت في شخص الرجل خلال وسجايا فريدة.

قد تبنت هذه الدراسة في غايتها البعد الإنساني للأمير عبد القادر وإسقاط الضوء على جوانب مواقفه الإنسانية التاريخية، فحاولت عبر طياتها تجميع الأحداث من جوانب شخص الرجل وفكره من الجانب الإنساني والأخلاقي والسلوكي والتعايش، ومعاملته مع ذويه وأعدائه على السواء، ودراستها بتمعن لأعظمها حقها التاريخي، وتكون حلقة مستنيرة في سلسلة الكتابات التي تدعم مواطن التعريف بالأمير عبد القادر.

**الكلمات المفتاحية:** الأبعاد؛ التسامح؛ أخلاقيات التعامل؛ المواقف الإنسانية؛ الأمير عبد القادر

**Abstract:**

The Emir Abdelkader was distinguished from the counterparts of his time in numerous human and ideological thoughts with his inherited religious education, forming a man with unique attributes.

This study involves the humanitarian dimension of Emir Abdelkader and it highlights aspects of his historical human positions. In these pages, I tried to collect his life events and thoughts on the human, moral, behavioral, and coexistence aspect. As well, how he treated family and enemies and to study it cautiously to give it its historical right, to be informative to the series of writings that supports the definition of Emir Abdelkader.

**Keywords:** Dimensions; tolerance; dealing ethics; human attitudes; Emir Abdelkader

**مقدمة:**

سؤالاً: ماهي أبرز مظاهر القيم الإنسانية وممارسات التسامح

الديني والتعايش وأبعادها في حياة الأمير عبد القادر؟.

**أهداف البحث:**

حاولت عبر عصاره جهدي هذا تجميع الأحداث من جوانب شخص الرجل وفكره من الجانب الإنساني والأخلاقي والسلوكي والتعايش، ومعاملته مع ذويه وأعدائه على السواء، ودراستها بتمعن لأعظمها حقها التاريخي، وتكون حلقة مستنيرة في سلسلة الكتابات التي تدعم مواطن التعريف بالأمير، وفاء لمن عبّد الطريق إلى ميلاد الدولة الجزائرية الحديثة بكل قواعدها في ظل رهانات الاستعمار الفرنسي الحاقق، وحبه الكبير لوطنه.

فالأمير عبد القادر الجزائري مفخرة لكل جزائري ذات البعد الحضاري والإنساني التليد ومن هذا المنطلق حاولنا كشف نقاط النزعة الإنسانية في حياة الرجل عبر مسح محيط معرفتنا وإسقاط الضوء على جوانب شخصه التاريخية لأعطي الرجل حقه عبر طيات هذه الدراسة، وأسرد

تجمعت في شخصية الأمير عبد القادر خلال وسجايا فريدة: من الإنسان الورع، الشاعر الأديب، السياسي الدبلوماسي المحنك، العسكري المرابط الشجاع، المحاور الإنساني المسامح، مسلم ذو نزعة دينية غير متعصبة، قائد حربي متميز، هو الواعظ والراشد بفقته المالكي إلى الحكمة والعقلانية، رجل ذاع صيته عبر التاريخ عربياً وعالمياً، أشوس مغوار، ذو نسب وأصل شريف، أصوله العربية تعود جذورها لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، اتسم برجاحة العقل وتربع على هامات الإنسانية بمختلف الشرائح من البساطة إلى العالمية، ترقى إلى الرفعة والرتبة وأعماله ومساهماته ومواقفه المتعددة في الحياة بمختلف صورها بين العرب والغرب، تاركاً على خطاه أريج التسامح بسلوك وقيم عالية علو شخصه.

**الإشكالية:**

إذن، عطفاً على ما سبق: ومن خلال الدراسة سأقتضي الجوانب الإنسانية في مسار حياة الرجل المجاهد، وأطرح

الدروس الدينية والتفسير في زاوية والده، كما شجعه على الفروسية وركوب الخيل.

ليسافر عام 1821م إلى مدينة أريزو الساحلية بقطاع مدينة وهران، والتي تبعد عن مسقط رأسه بحوالي سبعين كيلو مترا، فكان تواقا وشغوقا لإكمال دراسته، فنهل بنهم من زاد العلم، فتتلمذ على يد القاضي الشيخ أحمد بن الطاهر البطوي الذي ذاع صيته وسطع نجمه حينها، فكان قاضيا، واشتهر بغزارة العلم وسعة الاطلاع، لينتقل بعدها إلى مدينة وهران، وينتسب إلى مدرسة العالم الفقيه أحمد بن الخوجة، وغاص في تعلم الفقه وأصوله، لتتوسع دائرة معارفه العلمية في مجال اللغة والفقه والنحو والبيان، والحساب والجغرافيا والفلسفة والمنطق، فنمت لديه ملكات شتى منها براعته في مجال الخطابة والأدب وإقراض الشعر، فكان مواظبا وشديد الحرص على حضور حلقات العلم والعلماء بها، مثل حلقات الشيخ مصطفى الهاشمي والشيخ بن نقرید، حيث قضى مدة عامين كاملين في هذه الرحلة العلمية، ليعود عام 1823م، إلى مسقط رأسه ويتزوج من ابنة عمه لالا خيرة بنت أبي طالب، وهو في سن اليفوع بالغا من العمر 15، فأقام في عين المكان وتفرغ للتعليم.

وفي عام 1825م، ترافق الرجل بمعية والده وخرجا في رحلة حج وعلم دامت ثلاث سنوات متتالية، مرورا بتونس ثم مصر إلى الحجاز، ليتجها لبلاد الشام، ومنها إلى بغداد، ثم يعودا إلى الحجاز مرة أخرى لأداء فريضة الحج، لتختتم رحلتها ويعودا عام 1828م أدراجهما عبر ذات المسار صوب الجزائر، فكانت رحلة مثمرة، كللت بالتطلع والمشاهدة عن كئيب لحياة مختلف الشرائح والطبقات من مجتمعات الوطن العربي، ومنها تعرف مباشرة على علماء عصره واحتك بثقافتهم، هي رحلة زاخرة صقلت شخصية الشاب وزادته تكوينا ومعرفة، من خلالها تلقى مجموعة وافرة من العلوم فدرس الفلسفة، ودرس الفقه والحديث ودرس صحيح البخاري وصحيح مسلم، وتلقى ألفية مالك في النحو، وبذلك أتم عبد القادر العلم الشرعي، والعلم العقلي، ونال فسحة من الجولة التي قادته إلى الحج التي أثرت إيجابا على تكوينه النفسي والفكري والاجتماعي والسياسي، وهذا التكوين يعود إلى عوامل أساسية منها:

- العامل الوراثي والبيولوجي والعقلي للأمير.

بموضوعية وتجريد، وقائع حدثت فعلا عن الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله وقدس ثراه.

#### المنهجية المتبعة:

سأعتمد في بحثي بالدراسة المستفيضة، والتحليل الموضوعي، وإعطائها حقه التاريخي بالاعتماد على منهجين التاريخي التحليلي، والوصفي، عن طريق إبراز إنسانية الأمير عبد القادر في معاملاته وسلوكياته المختلفة عبر مسار حياته، ورصد أبعاد التسامح وحرية الفكر والتعايش لديه، ووصفها بدقة حسب كل مرحلة من مسار نضال وكفاح الرجل ومقاومته.

#### خطة الدراسة:

ولفك خيوط هذه الاستفهامات، سأتناول أبرز المحطات الرئيسية للموضوع، مع إمالة اللثام عنها كلما تقدمنا فيه، والوصول إلى نتائج وحقائق عنها، وبالتالي ارتأينا أن تكون خطة الدراسة على الشكل التالي:

**المحور الأول:** تجليات التسامح لدى الأمير عبد القادر

**المحور الثاني:** الأسرى في دولة الأمير عبد القادر والمرجععية التي استند عليها في تعامله مع الفرنسيين

**المحور الثالث:** الأمير عبد القادر ومبدأ الإنسانية في أزمة الشام ومكانته العالمية

**المحور الأول:** تجليات التسامح لدى الأمير عبد القادر

#### أولا- ومضات من حياة الأمير عبد القادر:

ولد عبد القادر بن محي الدين يوم الجمعة الثالث والعشرون من شهر رجب سنة ألف ومئتان واثنان وعشرون، الموافق ليوم السادس من شهر سبتمبر سنة ألف وثمانمئة وثمانية (23 رجب 1222 هجري، 6 سبتمبر 1808<sup>1</sup> بالقيطنة (EL GUETNA) على ضفة وادي الحمام في منطقة أغريس"، والتي تقع في إقليم وهران في الجزائر، نشأ وترعرع في رعاية والده محي الدين الذي كان شيخا للطريقة القادرية<sup>2</sup>، ولأمه الزهرة بنت الشيخ سيدي بودومة، شيخ زاوية حمام بوحجر وكانت سيدة ذات ثقافة دينية عالية.

تكفل والده بتلقينه مبادئ دروس المرحلة الابتدائية بمسقط رأسه بزاوية القيطنة<sup>3</sup>، فختم القرآن الكريم قبل أن يبلغ الحادية عشرة من عمره، فتعلم مبادئ العلوم اللغوية والشرعية، وبمنابرته وبكل جدارة واستحقاق نال درجة الطالب، ليكلف بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، مع إلقاء

**ثانيا- العنوان الفرعي الثاني: إنسانية الأمير عبد القادر:**

إن الجذور والأصول الشريفة التي ينحدر منها شخص عبد القادر تؤول لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وهي ميزة خصت وحظيت بها شخصيته لتتشعب بعقيدة إسلامية راسخة، جبلت عليها العطف والتسامح، وهي جملة من السجايا الخلقية الحميدة والرفيعة رفعة سمو روحه الطيبة التي كونت شخصية الفارس الشهيم والإمام العادل المتزن بالدين الحنيف وبالصوفية السمحاء على حد سواء التي تنبع من بساطة النشأة، والأسرة المتعلمة المثقفة والمحسنة، المساعدة لكل محتاج، البعيدة عن دواليب الحكم وغوغاء السلطة، فكان الفتى على يقين ووعي كبيرين بأن التسامح والإحسان لا يقومان إلا على نبيذ ومجاهمة الكراهية والغل اللذان تغديانهما جذوة التعصب المفرط من مذهب أو دين أو عرق، ولقد تجاوز عبد القادر هذا الحيز الضيق الذي يحد من سبل الحوار، فالتسامح الذي انتبهه ودعى إليه ليس من قبيل التسامح الإيديولوجي الذي يكرس الظلم والترفقة، بل جعل عميق فكره مطية في خدمة السلم والتسامح، ومثاله عفوه عن ذلك تسامحه عن عارضوه، وكانوا له ندا شرسا من شيوخ القبائل وشيوخ الطرق الصوفية التي رفضت الاعتراف به، وعارضت سلطته، خوفا منهم عن تقلص نفوذهم وسلطانهم إذا ما هم خضعوا له، فحاولوا التصدي له بوسائل مختلفة حفاظا منهم على مكاسمهم ومراتبهم التي يحضون بها من ذي قبل، وعلى هذا المنوال لم يكن عبد القادر رجلا عاديا، بل كان فقيها وعالما في زمانه، يهتم بشؤون التعليم ونشر المعرفة، سمحا لينا مع المعلمين، حيث ذكر عبد القادر في إحدى المناسبات أنه كان يشفق على المثقفين والمدرسين، خاصة عندما يرتكبون أخطاء، فيتسامح معهم خدمة للمجتمع مع صعوبة تعويضهم إذا ما قضى عليهم.<sup>7</sup>

**1- إنسانية الأمير عبد القادر ودورها في بناء دولته**

عطفا على ما سبق، كان الأمير عبد القادر الجزائري متبحرا إماما بارعا في الفقه وعلوم الدين راسخ العقيدة المبنية على الدين الحنيف، عميق الإيمان بالله تعالى، شديد التمسك بمبادئ الإسلام، كالتي تأمر باحترام الإنسان للإنسان، إذ لم يعرف تاريخ البشرية أهمية لقيمة الإنسان، إلا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان واعيا لكتاب الله، وقد اقتفى وانتبه خطوات سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، جراء تشبعه بالقيم النبوية الشريفة، حينها ذاع صيته في

البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأ في ظلها وعاش فيها. لقد صبغت أخلاق عبد القادر بملامح التصوف عما توارثه من والده الذي أثر في سلوكاته وما خزنه في ذاكرته منها عن الحكمة والتقوى، وهو محاربه لأصحاب الطرق الصوفية الشاذة.<sup>4</sup>

يذكر 'شارل هنري تشرشل' (Charles Henry Churchill) الذي لازمه في دمشق حوالي ستة (06) أشهر من (1859 إلى 1860) أن "عبد القادر" كان موضع اهتمام خاص من قبل والده، أولاده عناية فائقة غمرها بحب فياض، مذ كان في لفائف الرضاعة، فكان يحتضنه، ويصاحبه، فغرس في الطفل النخوة والإيثار فتطورت ملكاته العقلية بسرعة فائقة، والتي كانت تدل على نبوغه العقلي الغير العادي، فكان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره، وأصبح طالبا في سن الثانية عشرة من عمره، فتعلم الفقه، وتلقى تعليمه الأولي في كتاب زاوية أسلافه بالقيطنة"<sup>5</sup>، عن أبيه وبعض شيوخ الزاوية في مدرسة جده الغريسي، فنشأ بذلك في بيت علم وتقوى وفي بيئة دينية متعلمة ومحافظة، فأجاد وأتقن حفظ القرآن الكريم، وهو في سن الثانية عشر من عمره، وفي فترة وجيزة استوعب مبادئ العلوم الدينية واللغوية، فتعلم التفسير والحديث والفقه والنحو وأصول الدين عن والده، بتوارث عائلي من الجد للابن وعن غيره من العلماء كالسيد "عبد القادر المشرفي"، ومن النحو والبيان عن علماء مدينة وهران كالسيد "مصطفى بلهاسي".

لقد كان طموح عبد القادر أكبر في شبابه، شغوفاً لأن يصبح مرابطاً مثل والده، والذي كان يحبه، ويجعله قرة عينه، ويتحمس لما توسم فيه من علامات النضج الفكري والشعري منذ صباه، فقد كانت تظهر عليه بوادر النبوغ التي عن جميع إخوته، مما جعل والده يولييه اهتمام خاص، فبرزت هذه العناية في انتقاء الثقافة والتوجيه، إذ كان يراقبه عن كثب تبدو عليه علامات النبوغ العلمي دون إخوته، خاصة اهتمامه بالفروسية، والصيد، وزواجه المبكر، وانتمائه الطوعي لقبيلة بني هاشم العربية، وإلى عائلة المرابطين، هي الدائم التي ساهمت في تكوين شخصية عبد القادر وتقوية جذورها، كما ساعده نسبه الشريف، والعريق، وثقافة أسرته على الإبحار دون قيد في العلوم العقلية والنقلية، مما ساهمت في تعزيز إنسانيته الخالدة.<sup>6</sup>

أن نقول بسهولة أنه كان مجددا متسامحا، فقد استعان بالأجانب ومختلف المتعاونين لتطوير البلاد في النواحي التي شعر بان إمكانياته لا تمده بما يريد: كاستغلال المعادن، ونشر السكة لربط المدن، وصناعة الأسلحة، والنسيج، وتدريب الجيش، ورغم شدة تدينه فإنه لم يكن متعصبا، بل كان متسامحا مع معارضيه في الدين.<sup>9</sup>

حري تأكده أن الأمير عبد القادر الجزائري أسس دولته على مبادئ: منها الوطنية، والإنسانية التابعة من الدين الإسلامي.<sup>10</sup>

## 2- مظاهر شخصية الأمير عبد القادر الجزائري والروح

### الإنسانية في معاملاته

شخصية الأمير عبد القادر متعددة المواهب والخصال، وللعلماء والأدباء والحكماء كلمات نيرة حول هذه الشخصية الفذة، وسأنتقي بعض من هذه الشهادات المتعلقة بالجانب الإنساني لشخصه، ففي دراسة حول تاريخه العسكري والإداري قال الباحث (أديب حرب): "لا أستغرب أن يكون عبد القادر بن محي الدين المتعلق بالطريقة القادرية، قد أمضى شطرا من حياته في العبادة والزهد في زاوية القيطنة وأنهى أيامه بأعمال إنسانية وفقا لمبادئ الدين والشريعة حتى في أصعب الظروف وأحرجها، كان عميق الإيمان بالله وبالدين وشديد التمسك بالأخلاق والمبادئ الإنسانية."<sup>11</sup>

وتتجلى الروح الإنسانية الراقية للأمير عبد القادر خاصة في التعاملات مع غيره، فتكون ذات رفعة سامية خاصة حينما يكون في مركز القوة ومنصرا، ومن أمثلة ذلك أنه عندما رغب في عقد صلح وهدنة جديدة مع الفرنسيين، تلقى معارضة شديدة من قبل الشخصيات التي تسانده، فدعى يوم 25 ماي 1837م إلى عقد جمعية عامة على ضفة نهر الهبرة بإقليم وهران، حضره أعيان القبائل والشيوخ والقادة العسكريون والمرابطون، فصرح لهم جميعا أنه يجب التفريق بين سلام مقبول وسلام مطلوب، مبينا بأن القرآن الكريم لم يحث أو يدعو إلى هدر دم دون حق، فأمر إلى تجديد السلام بعد أن استسلم الكفار الذين نادوا بإيقاف القتال، ثم عقدت معاهدة تافنة في 30 ماي 1837م، والتي اعترفت فرنسا بمقتضاها بالدولة الجزائرية.<sup>12</sup>

ومن الصور البارزة في الروح الإنسانية التي تميز بها الأمير عبد القادر، ما أورده تشرشل على لسان الأمير إذ قال: "كان يظهر لي أن العلم هام جدا، فعملت على تشجيعه، حتى لقد

العالمين الإسلامي والأوروبي، رغم ضعف وسائل الإعلام آنذاك، والتصق اسمه بالمعاني الإنسانية السامية، أينما وجد، مختزلا ومكسرا حدود اللون والعرق واللغة.

سعى فكره بثقافة راقية وواسعة، فكان ظهيرا مترفعا عن كل الاعتبارات الضيقة، رافضا لأنانية الإنسان، كونه قد فهم الإسلام جيدا بأنه دين الرحمة والسماحة والتعايش بين المجتمعات في ضل الاحترام المتبادل على ضوء القوانين والأعراف الدولية ودون عدا، بيد أن دفاعه المستميت عن دينه ووطنه لا يعني كراهية الآخرين بل هو ترسيخ لوطن آمن وموحد.

هذه المبادئ والمواقف الإنسانية أكسبته احترامما ودعما معنويا خارجيا ساهم إلى حد بعيد في إقرار دولته الناشئة، حيث تجلى هذا في مدح قيصر روسيا لشخصه، وهو اعتراف ضمني بدولته نورد منها "نحن اسكندر جميع الروسيين إلى الأمير عبد القادر اقتضت رغبتنا أن نشهر التفاتنا إليكم بشهامتكم، وعملكم بما اقتضته الإنسانية"، فعمله لا يحيد عن عقلية وذهنية بناء الدولة الإسلامية بالمفهوم العصري، فكان رجل دين ودولة، وقد استطاع أن يجمع بين صفة المجاهد والمقاوم في آن واحد، فكان هذا جلي في رسالته التي بعث بها إلى الجنرال ديميشال (Desmichels) مبينا فيها بالمعنى المعاصر أنه رئيس للجزائر آنذاك.. "عندما تخرجون من وهران، خلال يوم أو يومين، أرجو أن نتقابل، وستعرف ساعتها من منا، أنا أو أنت، من ينبغي أن يظل سيدا للبلاد".

إن بناء الأمير عبد القادر لبلاده ارتكز على وعاء الدين الإسلامي، وفي تحليه بالمواقف الإنسانية النبيلة التي خرجت من مشكاة الإسلام، وفي وطنية متجذرة في أسرته الشريفة، يضاف إليها أفكاره التجديدية المنصبة في مناقشة القضايا الإسلامية.

ولننظر إليه وهو يخدم رعيته ويصطفي أعوانه ممن توفرت فيهم شروط المقدر، التقوى والوطنية، كل هذا من أجل الحفاظ على مواطنيه واتقاءهم للحظات الجور والطغيان، وما هو ذا يخص لخلفائه وأعوانه مرتبات شهرية، وعطايا يومية وأسبوعية، كل حسب مركزه لاتقاء وقوعهم في الرشوة أو ظلم الرعية، ويعتبر هذا قمة الإنسانية النابعة من تعاليم الدين الإسلامي.<sup>8</sup>

ولعل أهم من ذلك كله ما اشتهر به من إعجابه بالتقدم الإنساني وأخذه بأسباب التطور والحضارة الحديثة، ويمكننا

## 3- التسامح الديني في تعاملات الأمير

عرف الأمير عبد القادر بتسامحه الديني، الدال على إنسانيته، فكان يسمح لغير المسلمين بممارسة شعائرتهم الدينية كل حسب معتقده، إلى درجة أنه سمح للقساوسة الولوج لمعسكره بإلقاء المواعظ والدروس الدينية على مسامح الأسرى، فكتب لأسقف الجزائر قائلاً: "أرسل قسيساً إلى معسكري فسوف لن يحتاج لشيء، وسوف أعمل على أن يكون محل احترام وتبجيل، لأنه يحظى بوظيفة مزدوجة، وهي أنه رجل دين وممثل لك".

وسرد تشرشل أنه ذات مرة تدمر سجين فرنسي غاضب وصاح بزنجرة حنجرته وبحضور الأمير عبد القادر قائلاً: "أنا بالنسبة إلي فلن أتخلى عن ديني، قد تقطعون رأسي، ولكنكم لن تقدروا على جعلني أرتد عن ديني"، فرد عليه الأمير: "هون عليك فإن حرمانك من حياتك محرمة علي، إنني أحب سماع هذه اللهجة، إنك رجل شجاع ومخلص، وتستحق تقديري، فأنا أحترم الشجاعة في الدين أكثر من الشجاعة في الحرب"<sup>14</sup>.

## 4- الأخلاقيات القتالية في التعامل مع المحتل لدى الأمير

## عبد القادر

برزت لدى الأمير عبد القادر أخلاقيات التسامح مع الآخر، حتى في حربه ضد المحتل الفرنسي، إن أمن بوجود قواعد راسخة للحرب، تتعلق بضرورة التعامل مع الآخر وإن كان عدواً، ويتبين هذا من رده على رسالة وصلته من ديميشال سنة 1833م، يتلمس فيها من الأمير تحرير بعض الأسرى الذين وقعوا في أسره إذ قال فيها: "إن وضعي كما هو لا يسمح لي أن أفعل ذلك، لكن شعوري الإنساني يحملني على الكتابة إليك رسالة من ديميشال إلى الأمير عبد القادر مؤرخة في 12 أكتوبر 1833"، فأجاب الأمير: "إنك تخبرني أنك بالرغم من مكانتك رضيت أن تكون البادئ في الاتصال بي، لقد كان من الواجب عليك أن تفعل ذلك بناء على قواعد الحرب"<sup>15</sup>، ومن أبرز أخلاقيات القتال في تعامله مع المحتل، ما يأتي ذكره:

## — احترام العهود والمواثيق:

شهد الغير الصديق والعدو للأمير عبد القادر باحترامه العهود والمواثيق، وعدم خداع الرسل والوافدين إليه، ومن أمثلة ذلك التزامه بالعهد والميثاق حينما بعث برسالة إلى ديميشال في يوم 30 أكتوبر 1833م، قائلاً: "إن وقوع المودة والمدعاة بالخير معكم لها شروط في شرعنا، وأي شرط يشترط علينا لا تحل لنا مخالفتها، ولو نقطع دونه عن آخرنا، حتى إن

عفوت لأكثر من مرة على أناس مجرمين محكوم عليهم بالموت، لمجرد أنهم طلبية، ثم أورد مقارنة هامة في قوله: "إن الساكن في كوخ قد يقطع نخلة لا تريحه، ولكن كم سنة يجب عليه أن ينتظر قبل أن يكون في استطاعته أن يذوق ثمار نخلة أخرى يغرسها".

وأثنى تشرشل عن إنسانية الأمير عبد القادر في تعامله مع أسرى الحرب، وعدم تحقيرهم أو سبهم، فقال: "إن العناية الكريمة والعاطفة الرحيمة التي أبدتها نحو الأسرى ليس لها مثيل في تاريخ الحروب، فكلما كان حاضراً كان الفرنسيون الواقعون في قبضته يعاملون كضيوف لا كأسرى حرب، فقد كان كثيراً ما يرسل إليهم سرا كميات من النقود تختلف قيمتها من خمسة إلى عشرين دولاراً إسبانياً من جيبه الخاص، وكان يوصي لهم بالكسوة وبالطعام الجيد".

وحدث ذات مرة أن الأمير وأتباعه تعرضوا لأزمة جذب شديدة فلم يتمكنوا من الحصول على الغذاء الكافي، فتذكر الأسرى الفرنسيين في معسكره وكان تعدادهم أربع وتسعون سجينا، وهم في أشد حالات بؤسهم، فأطلق سراحهم جميعاً دون فدية ولا أي مقابل، بل أمر بمرافقتهم إلى الخطوط المتقدمة وسلموا إلى زملائهم من الجانب الفرنسي، ومن مظاهر إنسانيته السمحة أيضاً أنه أعطي رسالة إلى أحد الأسرى من ضابطه الفرنسي يخبره فيها أنه قد منحه وسام الشرف لتضحيتته من أجل أمن ضباطه، ووضع الأمير الوسام المذكور على صدر الأسير.

ونلتمس من إنسانية الأمير عبد القادر البالغة أنه في 22 سبتمبر 1843م أصدر أمراً لعقد مؤتمر بإقليم وهران ضم الخلفاء القادة ورؤساء القبائل، وجاء في جدول أعماله أقر الإحسان للأسرى و السجناء اتجاه جند العدو الفرنسي، أن كل فرنسي تم إلقاء القبض عليه في الميدان أو في غيره، وجب اعتباره سجينا، ويعامل معاملة طيبة إلى أن تحين الفرصة لمبادلتها بنظيره من سجنائنا، وأن كل من يحضر إلى المعسكر كل جندي فرنسي أو مسيحي آمننا سالماً دون أذيته سينال جائزة قيمتها ثمانية دولارات على الذكر، وعشرة على الأنثى، وأن كل من وقع في حوزته فرنسي أو مسيحي فإنه مأمور أن يقتاده دون أي تأخير إلى أقرب خليفة، وإلا سيواجه أقصى العقوبات، وفي حال تقديم الأسير شكوى عن سوء المعاملة، تسقط المكافأة تلقائياً وتسلب عليه عقوبات التعدي على الأوامر.<sup>13</sup>

— نماذج من القيم الإنسانية في بعض رسائل الأمير عبد القادر:

إن القيم الإنسانية للأمير عبد القادر الجزائري جعلته نموذجا رائعا لحوار الحضارات والأديان منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وإلى يومنا هذا بقي هذا النموذج صرح تاريخي وشاهد إنساني وأخلاقي تتغنى به معظم منظمات حقوق الإنسان العالمية حاليا، وهو ما شهدت به الباحثة الأمريكية كاثي غارمز (Cathy Ghermez) رئيسة مؤسسة الأمير عبد القادر بأمريكا قائلة: "إن الخصال الإنسانية للأمير في أيام السلم وكذلك الحرب، باعتباره مقاوما للاستعمار الفرنسي لبلاده، جعلت منه نموذج المسلم الذي يجب على الأمريكيين والمجتمع الغربي أن يقتدوا به في التعامل مع المسائل المتعلقة بما يحصل في المنطقة العربية"، وهي ذات الشهادة نجدها عند "بيتر ماورير" (Peter Maurer) رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر في قوله: "بالرغم من أن الأمير عبد القادر و"هنري دونان" (Henry Dunant) لم يلتقيا ذات يوم، فإن ثمة قناعة ربطت بينهما، وهي وإن لم تكن جديدة تماما، فإنها لم تكن أقل ابتكارا بالنسبة لهذه الحقبة، إذ ينبغي معاملة أي جندي غير قادر على القتال، سواء كان أسيرا أو مصابا، معاملة إنسانية ودون أي تمييز".

تمثل هذه القناعة أحد المبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني الحديث، وتقوم على التمييز أثناء النزاع المسلح بين "المقاتل" و"غير المقاتل"، وهي تقف بالمرصاد لمنطق الإبادة المرتبط بالحرب. وتحد من ويلاتهما وتقضي على سبل الكراهية بين القوى المتواجبة، انطلاقا من منطق قائم على الأخوة الإنسانية، ومن بين الشواهد التاريخية على قيم التسامح الجزائري مع السلطة الاستعمارية، ولا يمكننا حصر جلها، ومنها نستشهد فقط بمعاهدة ديميشال في 26 فيفري 1834 المعبرة عن القيم الأخلاقية.

لقد تضمنت المعاهدة على العديد من الكلمات المعبرة عن القيم الأخلاقية السالفة الذكر كالحرية، والصدقة، والإتحاد، والعيش المشترك، ومما جاء فيها كما يلي: "...تتوقف النزاعات بين الفرنسيين والعرب بدءا من هذا اليوم، ولن يدخر الجنرال قائد الجيوش الفرنسية، والأمير عبد القادر وسعا في المحافظة على هذا الاتحاد والصدقة الواجب قيامها بين الشعبين اللذين قدر الله لهما أن يعيشا تحت سلطة واحدة..".

من تمام الوفاء بالشرط أن المسلم الأسير في يد النصارى، إذا أمنوه وأطلقوا قيده، لا يجوز له الهروب بغير إذنهم في شريعتنا. وقد أثبتت الوقائع التاريخية أن المحتل الفرنسي كان سباقا لنقضها.<sup>16</sup>

ويظهر بشكل أكثر وضوحا احترام الأمير العهود ونبذ مظاهر الخداع في كثير من ردوده على مراسلات دي مشال التي يطلب فيها وقف القتال، ومن ذلك قول الأمير في إحدى ردوده: "يمكنك أن تثق بأن أي التزام يمكن أن نتوصل إليه، سيكون محل احترام من جانبي، ويمكنك الاعتماد علي، لأنني لم أتخل أبدا عن كلمتي"، حتى أن نابليون الثالث اعترف بذلك في رسالته التي وجهها إلى الأمير قائلا له: "لقد كنت عدو فرنسا، ولكنني مع ذلك لأزلت مستعدا أن أقوم نحوك بالعدل الشامل، لأجل شجاعتك وشخصيتك وصبرك في أوقات الشدة، وكذلك إنني أشعر بأن الشرف يقتضي أن أضع حدا لسجنك، وأن أعتد على كلمتك اعتمادا كاملا.

— تسامحه مع القبائل التي رفضت الاعتراف بها قائدا:

بعد معاهدة التافنة 30 ماي 1837 م، وبرحابة صدر تسامح الأمير عبد القادر مع القبائل والعشائر التي رفضت الاعتراف بسلطته، رغم تفوقه وغلبته عليهم، فاستسلم ابن المخطار، ومثل مقهورا أمامه، فطلب منه الرحمة والعفو، وإحسانه وسماحته لم يكتف بمنحه الأمان، ونسيان الماضي فقط بل عينه خليفة له على رأس القبائل المهزومة، مما أبقاه مندهشا وفي حيرة، وهكذا أصبح ابن المخطار منذ ذلك الحين أكثر أنصار عبد القادر ولاء وإخلاصا له.<sup>17</sup>

هكذا عفى عنهم ولم يقهرهم، بل كان حليما رحيفا بهم، ووعدهم بأن ينسى رفضهم الاعتراف به، شريطة إذا ما بايعوه مرة أخرى بأمانة وإخلاص دون أن ينكثوا العهد، وأن يتعاونوا معه بصدق وإقدام في مجابهة الاحتلال الفرنسي.

كما تسامح أيضا مع كثير من القبائل الفقيرة التي تعاني قساوة الطبيعة، والتي تفتقر إلى موارد الغداء والمال، وعاملها بدرجة من العطاء والإكرام، وخفض من قيمة الضرائب التي تدفعها إلى خزينة الدولة، كالذي تعامل به مع قبيلة أولاد سيدي الشيخ وأهل القصور في الصحراء،<sup>18</sup> فمنحهم امتيازات تتمتع بها على خلاف بقية القبائل الأخرى، وعاملهم بدرجة خاصة من الإكرام، وأمر بجمع مال الضرائب المستحقة مما فاض عليها.<sup>19</sup>

الفرنسية نفسها، من أجل أطماعهم الاستعمارية، فإننا نتعجب غاية التعجب من مقاومة وطني يدافع عن أهله وبلادته بأسلحة بسيطة وقوات ضئيلة ضد أكبر قوة برية في العالم آنذاك، أن يكون متسامحا مع عدوه إذا أصبح في قبضته ومقيدا بأخلاقيات الحرب التي تنظمها قواعد القانون الدولي وتقاليد الحروب الحديثة، وعقد آخر مقارنة بين الفرنسيين والأمير عبد القادر في التعامل مع الأسرى، إذ يرى أن الأمير كان يظهر لمواطنينا بأن عنده المال، وبالتالي فإنه لم يكن بحاجة إلى أن يبيعهم للحصول على فدية.

نلتمس من صفحات التاريخ أن الأمير عبد القادر الجزائري لم يكن يعامل الأسرى الفرنسيين وفق أهواء شخصية ومصصلحة ذاتية أو نزعة انتقامية، وإنما كان يعاملهم وفق المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المستوحاة من الدين الإسلامي من جهة، ومن قواعد القانون الدولي وتقاليد الحروب الحديثة من جهة أخرى، هذه القيم هي التي جعلته يفهم حقيقة معاملة الأسير.<sup>21</sup>

من المؤكد أن دور الأمير عبد القادر تجاه تنظيم الجيش، كان له تأثير على احترام الأشخاص في شخصهم وشرافهم ومعتقداتهم وشعائرهم الدينية، ومنع الأعمال الانتقامية، وعدم خرق قانون الحرب وأعرافها أثناء العمليات العسكرية، وهذا ما دعانا إلى الجزم الراسخ بأن للأمير كان الدور الريادي في ظهور القانون الدولي الإنساني المعاصر،<sup>22</sup> فكان سباقا في وضع أسسه في معاملة الأسرى قبل أن يتم اعتماده في أوروبا، وهذه هي حقيقة شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الداعي للسلم والسلام في العالم.<sup>23</sup> وقد اجتهد الأمير أيما اجتهاد في إرساء معالم القانون الدولي الإنساني اقتداء بسيرة نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، قوامها دعائم الشريعة الإسلامية على أساسين رئيسيين هما: الضرورة الحربية والاعتبارات الإنسانية.<sup>24</sup>

وبحكمته وحنكته الحربية واجه الأمير دون كلل أو تردد القوات الفرنسية بكل بسالة وشجاعة وبقوة وعزيمة تنبع من معتقد الجهاد، فخاض المعارك والإغارة من كر وفر، ببسالة، فدوخ أعتى وأكبر الجيوش، وفرق الحشود، وأسر جنود الاحتلال، وعاملهم وفقا لشهادات الفرنسيين أنفسهم لمقتضيات تسامحية ومثالية تجسد أسس القيم الإنسانية، وتمثل روح التعاليم الإسلامية المحمدية، الأمر الذي اضطر بالفرنسيين أنفسهم في تقاريرهم وصحفهم، وكتاباتهم لشن

وتجدر الإشارة إلى أنه قبل عقد هذه المعاهدة سبقها مراسلات تمهيدية بين الجنرال ديميشال والأمير عبد القادر، بغية الوصول إلى الاتفاق النهائي والرسمي بين الطرفين لإنهاء النزاع، وعلى الرغم من قوة وصلابة شخص الأمير في أسلوب وطريقة الرد على كل مقترحات الجنرال، إلا أن مستوى الرسائل كان لا يخلو من الالتزام بالكلمة والوفاء بالعهد، ومراعاة حالة الضعف التي يعيشها العدو عند مطالبته بالسلام أو الاستسلام، ومنها على سبيل المثال جواب الرد على الرسالة الثانية التي كتبها الجنرال إلى الأمير في شهر جانفي 1834م مطالبيا إياه بتوقيف الحرب وتحقيق السلام، حيث جاء في رد الأمير كما يلي: "لقد اتصلت برسالتك وفهمت محتواها تماما، ويسرني أن أجد عواطفك تتفق مع عواطفني، إنني أشعر بثقة نحو إخلاص نواياك، ويمكنك أن تثق بأن أي التزام يمكن أن نتوصل إليه سيكون محل احترام من جانبي، وعندئذ سنكتب معاهدة تقضي على العداوة التي تفصلنا عن بعضنا وتحل محلها صداقة، ويمكنك الاعتماد علي، لأنني لم أتخل أبدا عن كلمتي".<sup>20</sup>

#### المحور الثاني: الأسرى في دولة الأمير عبد القادر

##### والمرجعية التي استند عليها في تعامله مع الفرنسيين

يتسنى للدارس الباحث والمتتبع لسيرة الأمير عبد القادر الجزائري، خاصة في تعامله مع الفرنسيين وبفئة الأسرى، أنه أصدر أوامر يومية لجنوده للرفق بهم وبمعاملتهم معاملة حسنة تتناسب مع إنسانيتهم العسكرية على اختلاف دياناتهم، ويرى أحد المعاصرين للأمير أنه منذ وصوله إلى السلطة، شرع في محاربة كل ما يسيء إلى الأسرى، وأول ما فعله أنه دعم أوامره بالحديث النبوي فيما معناه ".. اقتلوا طيلة وقت المعركة، وبعد انتهائها، أوثقوا الأسرى، ليكونوا بعد ذلك محل عفو أو مبادلة"، فاستنادا إلى هذا يفهم أن مرجعية الأمير كانت تقوم على مبدأ العفو والصفح، ويهدف المحافظة على حياة الأسرى من خلال مبادلتهم بمن أسروا من جهته، إقتداء بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ويرى أحد الباحثين أن الأمير عبد القادر كان يتقيد ويلتزم بشكل دقيق في تعامله مع الأسرى الفرنسيين بقوانين الحرب في الإسلام، بعد ذلك يعقد مقارنة عجيبة، أما نحن فإذا كنا لا نستغرب من الأعمال الوحشية والجرائم اليومية التي يرتكبها قادة الاحتلال الفرنسي، لأنهم استعمارون يضحون بكل المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية التي جاءت بها الثورة



بإمكان الأمير أن يرحب بهذا الاقتراح ويعدده مفخرة له أمام الناس بمن كانوا حوله، ولكنه تثبت، ونظر إلى الأمر بعمق، فقد علمه إسلامه أنه "لا إكراه في الدين" فلا ينبغي أن يرغم أحدا على الدخول في الإسلام، ما لم تكن رغبته بإرادته الطوعية وتنبع من صميم فؤاده، وأن الأسيرين إنما قالوا ذلك خوفا على حياتهما، لذلك قال لهما: إن أنتما تفعلان ذلك شعورا بالخطر أثناء الحالة التي أنتما عليها فإنكما مخطئان فلو ظلتما مسحيين كما أنتما الآن فلن يحدث لكما أي إزعاج ولن تمس شعرة من رأسيكما، ففكرا فيما سيحدث لكما لو عدتما إلى أهليكما بعد أن تخليتما عن دينكما. وكيف تأملان أن تستفيدا من المناسبة إذا ما حدث تبادل للأسرى؟"، وبدون شك فإن هذين الأسيرين قد مارسا أو شاهدا المعاملة السيئة التي يعامل بها الجيش الفرنسي الأسرى الجزائريين، فمثلت في ذهنهما صور من التعذيب خشية أن يلحقا بهما شيء منها، لذلك قالوا للأمير ذلك الكلام خوفا وذعرا.

ومن مواقفه الإسلامية العالية وإيلاءه العربي الأصيل قوله لأحد جنوده وقد أحضر أمامه أربع فتيات فرنسيات كغنيمة حرب، "إن الأسود تهاجم الحيوانات القوية أما أبناء أوى فتسقط على الضعيف منها"، بهذه الروح الإسلامية السامية التي لا تلمسها إلا عند عظماء البشرية، فقد سير الأمير عبد القادر فترة جهاده ومحاربتة للمحتل الفرنسي بحكمة وانضباط، وبرباطة جأش، فلا يرض من معاونيه وأصحابه وما يتنافى وحدود الشرع وما يتوافق والفطرة الإنسانية الصافية التي حثها الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع "اتقوا الله في الضعيفين المرأة واليتيم".<sup>27</sup>

تذكر الكثير من المؤلفات الأجنبية عن معاملة الأمير للأسرى، وعن أخلاقيات القتالية وإيمانه وشخصيته المتزنة، ولعل من أهم المواضيع التي ذكرها "محفوظ قداش" عبر الشهادات الموثقة للأسرى الفرنسيين، منها شهادة النقيب "موريزو" (Morisot) الذي تكلم عن حادث أسره فقال: "...بعد ساعات فتحت عيني فوجدت نفسي في معسكر سيدي مبارك بن علال، ولم أكن أصدق ما حصل لي إذ كنت أحتفظ برتي وأيضا بوسام الشرف الخاص بي... وشعرت أنني في مأمن داخل الخيمة..."<sup>28</sup>

كما صرح "هنري تشرشل" أيضا في كتابه: "إن العناية الكريمة والعاطفة الرحيمة التي أبدتها عبد القادر نحو الأسرى ليس لها مثال في تاريخ الحروب، فكبار الضباط

حملة شعواء ضد هذه التصرفات النبيلة لتشويه سمعة الأمير عبد القادر في المحافل الدولية فيقول أحد القادة الفرنسيين: "ينبغي لنا أن نخفي هذا الأمر ونكتمه عن العسكر لأنه إن علموا به لا يأتي لنا أن نحارب عبد القادر بالترتيب المناسب"، فأدرك هذا القائد في خضم ما كان يعانيه الجيش الفرنسي في بدايته من سوء التموين وقلة الزاد، فتخوف من فرار الجنود الفرنسيين ولجؤهم لرعاية الحاكم العادل عبد القادر، ويشير الكولونيل "سكوت" (Scott) في مذكراته، وهو شاهد عيان عن هذه الحقيقة فيقول: "... والطريقة التي يعامل بها الأسرى في أراضي الأمير عبد القادر تبعث في نفسي الرضى والغبطة، وهي تثبت زيف التقارير التي تزعم بأنهم لا يلقون أية عناية، أو رعاية من العرب، فإن هذه الأقوال تعميم للحقيقة تماما".

ومن مظاهر اعتناء الأمير بأسراه وحرصه على حياتهم وسلامتهم، أنه أوقع الحد بجلد على أحد من جنوده 250 جلدة، لأنه قطع رأس أسير، وهو ما يتنافى وإنسانية الأمير، مما أورد مكافأة لكل جندي يحضر أسيرا على قيد الحياة حرصا منه على سلامتهم. وقد حاول أحد الأسرى قتل نفسه خوفا من العرب وبعض تصرفاتهم أثناء الحرب خاصة وأنه بلغه أنهم يذبون أسراهم، فبلغ ذلك الأمير ذلك فقال له: "لقد كذب عليك من قال لك هذا، فأنت من الآن حر طليق عد إلى قومك، وقل لهم أنني معجب بشجاعة جنودهم، وأني لست كما يظنون من شاربي الدماء".

أمام هذا فقد خصص الأمير حصنين من حصونه ليجمع فيهم أسرى الحرب، وهما حصن -تازة- بسعيدة، وحصن -تاقدمات- بتيارت، ووفر فهما كل شروط وضروريات الحياة الكريمة، بل أكثر من ذلك أمر بإعفاء الأسرى من الخدمة يوم عطلة المسيحيين، ورفض وبشدة إكراههم وإجبارهم على اعتناق الإسلام، عملا بقوله تعالى: "لا إكراه في الدين"<sup>25</sup>. واشتهر بالمعاملة الإنسانية للأسرى الحرب الذين كانوا يقعون في قبضته، فكان يرفق بهم ويؤانسهم، وكثير منهم لجئوا إليه بعد إطلاق سراحهم.<sup>26</sup>

ومن مظاهر إنسانيته الرفيعة تتجلى عما سجله عنه "تشرشل" على أنه كان يعامل أسراه معاملة ودية مستلها ذلك من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء، ولقد أحضر بين يديه سجينان فرنسيان فقالا له: "أهنا الأمير إننا نرغب أن نصبح مسلمين، وإننا مستعدان لأن نعتنق ديانتك"، فكان

الميدان، ويؤسرون بدل أن يقتلوا، ذلك أن كلمة (الأسير) في حد ذاتها لم تكن معروفة لدى قبائل العرب المتوحشة».<sup>30</sup> ولعل أن هذا المرسوم الذي أصدره الأمير يعد الأول من نوعه في تاريخ حقوق الإنسان، إذ تبنت عديد الهيئات والمنظمات الدولية الإنسانية ما جاء فيه، حيث تؤكد شهادة جاكوب كيلينبرغر (Jakob Kellenberger) الرئيس السابق للجنة الدولية للصليب الأحمر هذا الطرح في قوله: «أن الأمير عبد القادر أعطى مبكرا ودون علم مسبق، وصفا وافيا لما يشكل الآن العمل اليومي لمندوبي اللجنة الدولية للقانون الدولي الإنساني: ألا وهي مؤازرة السجناء وضمان احترام حقوقهم وكذا طمأنة عائلاتهم».<sup>31</sup>

فالجدير بالذكر أنه كان حريصا على سلامة صحتهم لدرجة أنه كان في كثير من الأحيان يخاطر بحياته من أجل إنقاذ الجرحى في أرض المعركة<sup>32</sup>، كما قام ببناء المستشفيات لمعالجة المرضى المدنيين والعسكريين على حد سواء، إضافة إلى بنائه للمستوصفات في المقاطعات، ومشافي متنقلة مع الجنود في المعارك من أجل إسعافهم، وعين لكل مشفى أربعة أطباء ذوي الخبرة والكفاءة يرأسهم طبيب متمرس في الميدان، و كان هؤلاء الأطباء يتقاضون راتبا ثابتا يدفع لهم من بيت المال، وكانت مهمتهم تقتصر على تجبير العظام وتضميد الجروح.

كما اعتمد أيضا على مجموعة من الأطباء من خارج الوطن كأطباء التونسيين مثلا، وأنفق أموالا كبيرة لشراء الكتب العلمية الطبية بهدف نقل العلوم الطبية في المعاهد للطلبة المتفوقين، بالاعتماد على أطباء ذوي الكفاءة العالية، لكن وللأسف عمر إمارته القصيرة وقلة الأموال حال دون تحقيق مرامه.

يذكر "قدور بن رويلة" في كتابه "وشائح الكتاب" أن الأمير كان يرأف كثيرا بجنده لدرجة أنه وضع قانونا واضحا خاصا بالجرحى والمرضى وعائلات الشهداء، إذ يذكر في أحد بنوده عن المعطوبين في الحرب: "إن تعطل بالكلية فإنه يجري عليه راتبه حتى يموت".

كما كان يهتم بغذائهم وملبسهم، حيث ذكر تشرشل في هذا الصدد أنه: "...قدم إلى عبد القادر وجنوده فرحين بإيجادهم لقطيع من الغنم، وألحوا عليه تناول وجبة طعام دسمة لكنه قال خذوها إلى جنودي الذين يكادون يموتون جوعا وعاد هو إلى ثمار البلوط".

المسيحيين عليهم أن يجلسوا عند قدميه، وأن يتمسحوا بها، لانحطاطهم في المعاملة..."، فكان يعاملهم كضيوف لا كأسرى كونه كان متشبعا بقوانين الشريعة الإسلامية، هو ذا السلوك الحضاري الثقافي، والذي صاغه الإسلام في أعلى وأرق درجات الإنسانية، لا يفرق بين الناس إلا بتقواهم. وظهرت إنسانيته وسلوكياته الأخلاقية وفروسيته، عندما منع التنكيل بالأجساد كقطع الرأس، والأذن، وهي الوحشية التي كانت تمارس في حق شعبه من طرف العدو الفرنسي.

ويرد تشرشل في قصة مماثلة عن المعاملة السخية للأمير مع الأسرى لا نهاية لها فقد أخذت منحني إنسانيا أوسع، فعندما طلب منه أسقف الجزائر "ديبوش (Dupuch) سنة 1841م، إطلاق سراح أحد الأسرى أجابه الأمير وهو في أوج القوة والسلطان: "...اسمح لي بأن أقول لك حسب معتقدك: أنه بحكم كونك خادما للرب، وصديقا للرجال الذين هم أيضا إخوتك، وجب عليك أن تطلب مني إطلاق سراح كل المسيحيين الذين وقعوا في الأسر منذ استئناف الحرب، وليس واحدا فقط".

كما حرص الأمير بأن تعتنى زوجته وأمه بالأسيرات، التي كانت خيمتها متاخمة لخيمتهنّ والمجروسة من طرف الزنجيات، وكانت كل صباح تقد لهنّ الزيت والزبدة واللحم، وكانت عنايتها بالمريضات منهنّ شديدة، إذ تمنحنهنّ القهوة والسكر والشاي وكل شيء ليخفف عنهنّ الألم، أما عن عقيلته كانت تسهر على أمنهنّ وتقديم لهنّ المأكول والمشرب والعلاج.

لقد كان الأمير في نظر الأسرى عدوا كريما الأخلاق، وكل من كان أسيرا عنده قد أثنى عليه، فقد وصف أحدهم معاملة الأمير لهم مبينا تواضعه معهم قائلا: "عندما مررت بالسلطان فحياني بجلال فريد، وابتسامة مدهشة وأشار إلي بيده بالجلوس ثم سألتني رأيي في بناء التحصينات، فأجبتة أنها تظهر لي جيدة. هذا يدل على حرية تنقل الأسرى داخل المعسكر، فهم يتمتعون بحماية تامة".<sup>29</sup>

ولتثبيت التعامل الإنساني مع أسرى الحرب، أصدر الأمير سنة 1843م مرسوما يحدد فيه شروط التعامل معهم، وفي هذا السياق يضيف تشرشل: «أن عبد القادر بإنسانيته قد فعل أكثر من مجرد افتتاح عهد جديد في معاملة الأسرى بين العرب، فهو الذي بفضلها أصبحت حياة الجنود تنقذ في

لمعاملته الراقية للأسرى زادت من قيمته التاريخية، فتشبعت بقيم الحضارة الإسلامية منذ صغره بكل معاني الرقي، مما أدى به إلى سن وتطبيق قوانين، كما لو عاشها مع الرسول عليه الصلاة والسلام، واهتمامه بغذاء جنده كما لو عاشها مع داوود عليه السلام، كلها قيم إسلامية اقتدى بها الأمير طيلة إمارته وفي دولته ومع شعبه.

استنادا إلى كل هذا يفهم أن مرجعية الأمير كانت تقوم على مبدأ الصفح والعفو، والمحافظة على حياة الأسرى من خلال مبدأ التبادلية، إذ بين لأصحابه مدى قيمة مصلحة آبائهم الذين سقطوا بين أيدي المسيحيين، فكان يتعهد بضمان الحفاظ على الأسرى المسلمين، مقابل إلزامية معاملة أسرى العدو معاملة حسنة، وإن اختلفت ديانتهم كل هذا على أساس مبدأ المعاملة بالمثل، فكان يتقيد بشكل دقيق في تعامله مع الأسرى بقوانين الحرب في الإسلام وفق المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المستوحاة من الدين الإسلامي وتقاليد الحروب الحديثة.<sup>35</sup>

لم يكن أسرى الحرب في نظره خصوما عزلا يرتبط مصيرهم بالمعاهدات الدولية أو بالقوانين التي تنص على المعاملة بالمثل، فهم ضيوف تعساء لهم الحق في الشفاعة، بحيث لم يبالغ الأمير لما كتب للملك "لويس فليب" ( Louis Philipe) لم نقم بأي تمييز بين الأسرى وفرقنا فيما يتعلق بالأكل والمبيت بل أكثر من هذا لهم امتياز يتمثل في حصولهم على اللحم والقهوة وأشياء أخرى"، كما كان يوزع عليهم شيئا من المال، فلم يكن الأمير يكتفي باحترام القناعات الدينية للأسرى، بل كان يأمل في أن يسهل عليهم ممارسة طقوسهم، وتأمين حضور مرشد كاثوليكي يبعث السكينة في قلوبهم، ليخفف عنهم ظروف أسرهم.<sup>36</sup>

فالتزم الأمير باحترام الأسير كإنسان، وترك حرية فكره وحرية معتقده أنه كان يحترم الحق الطبيعي للإنسان لذا جعل رعاية الأسرى تحت كفالة المقربين إليه دون غيرهم، لقد كان بوحميدي هو أفضل ملازمي الأمير، إذ كفله برعاية الأسرى بالصفح والرفقة على من أرادوا الفرار والحلم عليهم.

فمواقفه تحسب لصالحه حتى مع العدو الذي اغتصب الأرض، قتل وشرذ الأبرياء، تنم عن مروءته وحلمه وسمو أخلاقه الذي كان يرفعه عن كل أساليب الدناءة والأفعال الشريرة، ذلك أنه كان يبتغي بعث روح المحبة والتآخي بين أفراد المجتمع الواحد، وكذا في تعامله مع غيره من غير ملته،

أما عن الألبسة فكان يصنعها لهم من الكتان هذا فيما يخص الجنود، أما الضباط فكان لباسهم يصنع من الجوخ، وفي حال تلفها كان يجددها لهم دون مقابل ما يجب التأكيد عليه في مثل هذه المواقف الأميرية، هو أن إنسانيته جوهرها قائم بذاته، وليس عرضا من أعراض الاضطرابات الآتية، فهو شعور مستقل نابع من الذات، صادر من روحه الطاهرة، لم تتأثر بالظروف الخارجية، بل بقيت كما هي بالرغم من الصدمات التي كان يصادفها.<sup>33</sup>

ومن المواقف الإنسانية أيضا والتي كانت تحسب له أثناء الحروب، أن الجندي الأميري كان مطالبًا باحترام خصومه في حالات ثلاث: إذا ألقى سلاحه، أو استسلم للأمر، أو اعترف بهزيمته،<sup>34</sup> كون أن:

- العدو مهما كانت شدته، لما يجرد من السلاح يصير إنسانا يتوجب احترامه.  
- أن الحياة أغلى ما يمتلكه الإنسان في الوجود، فلا يجوز حرمانه منها، ولما يتاح للمرء المقدر أن يعفو فالعفو من الرحمة.

تلکم من جملة الأخلاق الحربية التي لقنها الأمير عبد القادر لجنوده، ساعيا من وراء ذلك ترسيخ وتفعيل الشعور الإنساني لديهم إلى حد المكافأة بالمال لمن يحافظ على الأسير لذلك عمل جاهدا ودون كل من أجل إرساء فكرة التوفيق بين الأهداف المشروعة للدفاع عن الأرض والعرض، وضرورة احترام الطبيعة الإنسانية للأعداء سواء وقت الانتصار أو الهزيمة من ناحية أخرى، فالهدف من الجهاد ليس إهلاك المخلوقات والتخريب والقتل وقطع الأذن والرؤوس، فهذا يتنافى والحكمة الإلهية، بل المقصود هو دفع أذى المعتدي والإبقاء على الفاضل، فضلا عن احترامه الشديد للقناعات الدينية للأسرى رغم اختلافه معها عقيدة، إذ لم يقبل أبدا أن يرغم الأسير على تغيير دينه تحت وطأة الخوف والتهديد، فكان سباقا لسن مبدأ زيارة القس (رجل الدين) للأسرى والمساجين، ليس بغرض تمكينهم من ممارسة صلواتهم وطقوسهم الدينية فحسب، بل لتمكينهم من التواصل من خلال رجل الدين مع ذويهم وعائلاتهم والحصول عما يخفف من وجعهم من "مال وملابس وكتب وغيرها".

بالرغم من ضراوة الحرب وشراسة عدوانيتها وقساوتها، فلم تفقد من عزيمة "الأمير عبد القادر" شيء في إنزال شعار الإنسانية بل رفعها إلى أعلى مقام، فمواقفه الثابتة والشهيرة

المروءة كالأمير عبد القادر الذي شاع صيته في الأفاق، والذي كان يطوف المدينة ليلا نهارا برجاله المغاربة الشجعان، ويناديهم: يا أمة الإسلام، إن ذلك لا يجوز في شرع ديننا، اعدلوا يا أمة محمد، لما زال الخطر...".

وبعد أن ينس الأمير من عدم استجابة الناس له، أمر رجاله المغاربة بالسعي في الأحياء والشوارع وإحضار المسيحيين إلى داره، حيث امتلأت داره، واقتدى به بعض أعيان المدينة، ومنهم "سليم العطار" و"عمر آغا العابد" وغيرهم، ووقفوا إلى جانبه والذي أمر الرجال بالصياح في الناس وبخاصة حيث يتواجد الخائفون، فنادوا فهم: "أيها المسيحيون تعالوا لا تخشوا منا، إننا هنا لإنقاذكم، تعالوا تعالوا".

والدارس للتاريخ والمتعمق فيه يعرف أن الأمير عبد القادر جازف بحياته وبأصحابه فتعرض إلى تهديد من بعض الناس، بأن يحرقوا بيته وأرهبوا من يسانده في إيواء النصاري، غير أن الأمير ثبت وصبر على موقفه، وتعرض بيته إلى مهاجمة المهديين، وطلبوا منه أن يسلمهم النصاري الذين يؤوهم فخرج عليهم برجاله وقال: "إنكم ستندمون حيث لا ينفعكم الندم، إنني أنصح لكم أن ترجعوا عن غايتكم وعودوا إلى بيوتكم وأن تسمعوا نصيحتي، أرى نفسي مضطرا لأن أريكم العجائب والغرائب، فلا أوقفكم على قباحتكم هذه، وليس عندي سوى النزال والكفاح أنا ورجالي المستعدون لأن يحاربوكم، ويثبتوا معي إلى النهاية حتى تهرق آخر نقطة من دماننا على شفرات السيوف"، واستل سيفه وصاح: "خسئتم يا قوم، اذهبوا أيها الأندال، هذا يكون جزاؤكم من الأمير، اعدلوا عن جهالتكم"<sup>39</sup>.

#### — طرق وسبل حماية الأمير عبد القادر للمسيحيين:

نظرا لخطر هذه الفتنة وبالنظر للعدد الهائل للمشاركين فيها من كلا الطرفين استخدم الأمير عبد القادر أساليب مختلفة لحماية المسيحيين ومنها:

جهز وانتقى الأمير ما بين 300 إلى 1000 شخص من رجاله لتوفير الحماية والأمن، وكان جلهم من الجزائريين وأقلية من المغاربة.

سعى إلى توفير البيوت والملاجئ التابعة له والتي كانت من ممتلكاته، أو بيوت المسلمين الدمشقيين لإيواء الفارين من

فلقد كان يؤمن بوطنه الصغير الذي يحدد ملامح هويته، والذي يعمل على الدفاع عنه في محاربة الأعداء لتحقيق حريته ويحافظ على قيمه وعلى هويته، كما يؤمن بانتمائه للوطن الأكبر وهو وطن الإنسانية جمعاء، وهذا ما عبرت عنه سلوكاته وإحسانه للأسرى كما سبق الذكر، ومعاونته في إطعام الفقراء ومواقفه في الدفاع عن حرية الاعتقاد.<sup>37</sup>

#### المحور الثالث: الأمير عبد القادر ومبدأ الإنسانية في أزمة

##### الشام ومكانته العالمية:

أعرب التاريخ عن عرفانه وامتنانه للأمير عما بدر منه من أجل صور التسامح الإنساني مع المسيحيين، حيث قدم لهم يد المساعدة أثناء الفتنة التي حلت بهم في الشام عام 1860م، من مأوى وحماية، والتي تمثل أحداثها في أن بعضا من السكان من (شريحة الدروز) قاموا بتدبير مؤامرة احتجاجا على فرض الدول الأوروبية على الدولة العثمانية منح بعض الامتيازات للمسيحيين في الشام، وهي الأحداث التي غدتها النزعة القومية والهوية والمعتقد وتحولت بصفة متسارعة إلى مجزرة حقيقية، فتدخل الأمير وأرسل الرسل إلى بعض أصدقائه من مشايخ "الدروز" في بداية الحرب الأهلية، داعيا إياهم إلى الحلم والعفو، ثم ذهب إلى العلماء وطلب منهم أن يتدخلوا لدى الأهالي للتخفيف من حدة الأزمة ووقف تطورها، بعدها تدخل على رأس فرسانه وأنقذ حياة خمسة عشر ألف نسمة ينتمون إلى الكنيسة الشرقية من الموت، وكان يجمع هؤلاء في بيته ويقوم بإطعامهم من ماله ويواسيهم ويخفف من أحزانهم، ويعددهم بالتقليل من كربهم ويهدئ من روعهم، على الرغم من صعوبة الحدث إلا أن الأمير استطاع بجنكته أن يحافظ على سلامة المسيحيين.

ولقد أظهر الأمير في هذه النكبة أنه من طينة الكبار وأنه رجل المواقف الصعبة، وأثبت بذلك الأبعاد الإنسانية لشخصه ووطنه، وأكد كذلك على تسامحه الديني ونبذته للحروب والتعصب والصراعات.<sup>38</sup>

ومما قاله حينها في تلك الخطبة: "إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن تكون خنجر جهالة أو معول طيش أو صرخات نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم، أحذركم أن تجعلوا للشيطان باب الجهل فيكم نصيبا، وأن يكون له إلى نفوسكم سبيلا".

وقد جاء في التأريخ عن المذبحة، عما ذكره شاهد عيان عن دور الأمير، فقال: "لولا رجال الفضل وأهل الصلاح أصحاب

التمسك بفضائل الإسلام، شريف في الحسب والنسب. وكان يكره قتل الضعفاء بالديسياسة والغدر، وينهي عما يحرمه دين المسلمين. فظهر بين تلك الجموع المنحطة مثل لؤلؤة في وسط حجارة صماء سوداء، وعلت نفسه علوا كبيرا عن دسائس الأتراك ومكايد المفسدين، وأفعال المتوحشين. هو السيد السند والفرد الأمجد، والبطل الأوحده الأمير الخطير، والملوك الخطير عبد القادر الحسني الجزائري، صاحب بلاد الجزائر، طيب الله ذكره، ورحمه ألف رحمة، وأكثر الله من أمثاله بين الأدميين".

كما أثنى عليه الإمام (شاميل) في رسالة شكر جاء فيها: "إلى من اشتهر بين الخواص والعوام، وامتاز بالمحاسن الكثيرة عن جملة من الأنام، الذي أطفأ نار الفتنة... واستأصل شجرة العدوان... سمعت أنك خفضت جناح الرحمة والشفقة لهم وضربت على يد من تعدى حدود الله.."<sup>41</sup>

— من الملوك الذين بعثوا للأمير عبد القادر برسائل الثناء بعد الحادثة:

- رسالة قيصر الروس: "إلى الأمير عبد القادر، اقتضت رغبتنا أن نشهر التفاتنا إليكم بشهامتكم وعملكم بما اقتضته الإنسانية، واجتهادكم في إنقاذ ألوف المسيحيين من أهالي دمشق، الذين وجدوا في خطر عظيم اقتضى الحال أننا سميناكم من أعظم فرسان رتبنا الإمبراطورية المشهورة بالنسر الأبيض".

- رسالة ملك إيطاليا: "إن عظيم تصرفكم في أمر المسيحيين في الحوادث الشامية قد أثبتت أمام أوروبا أنك ممن حاز المزايا الحربية العظيمة، خصوصا في الحادثة الدمشقية التي أنقذتم فيها النفوس الكثيرة، فكان ذلك حلية لنفسكم الكريمة المصطفاة، ثم إنه يوجد بيني وبينك أيها الأمير العزيز مواصلة أفرح بذكرها وهي محبة الحرية التي تجعل تابعها محافظين على العدالة الحقيقية".

- رسالة ملكة إنجلترا: "من جلالة ملكة المملكة المتحدة بريطانيا العظمى إلى صاحب السمو الأمير عبد القادر، تذكرا للمساعدة الخيرية المبدولة للمسيحيين في دمشق سنة 1860".

وعن شهادة القائم بأعمال قنصل فرنسا بدمشق في 19 جوان 1860 قوله: عندما شعر الأمير بالخطر المحذق بالمسيحيين والدروز حينها عرض الأمير أن يجمع كل الجزائريين المخلصين له، وأن يكون على رأسهم من أجل

المسيحيين لإيوائهم وتوفير الحماية والأمان لهم مثل منطقة القلعة، كما حافظ على حياة النساء والشيوخ والأطفال. أمن الطرق والمسالك للفارين إلى بيروت، وأرسل إليهم بحراسة رجاله فوج بعد فوج، وكان نتيجة ذلك خروج المئات من المسيحيين المتجهين إلى لبنان.

خاطب الأمير بصرامة في الساكنة يدعوهم إلى التعقل والهدوء مع ضبط النفس والتبصر وتحكيم العقل دون الهوى، وطالبهم بالكف عن إيذاء المسيحيين وكانت ندواته العلمية في المسجد الأموي وفي دار الحديث النووي وفي داره أحيانا، يحذر الجميع ويحثهم على الحيطة واليقظة إزاء إفشال المؤامرات التي تحاك في الظلمة، وكان يبصر الوجهاء والأعيان بعواقب التفرقة بين أبناء الشعب ويحذرهم من أخطار الصدام بين الطوائف، وكان يدعوهم إلى عدم الثقة بوعود الدول الأوروبية الاستعمارية التي تجعل من الفتن الطائفية مطية لصب الزيت على الهشيم لتغذيتها وتلهيها.

يجاد وتوفير طرق أمنية لحماية المصالح الحكومية ومنها قنصليات الدول، ونوه الجميع بجهود الرجل في حماية حياتهم من خطر هذه الفتنة، وها هو 'لانوس' (Lanos) قد اعترف بذلك حيث قال: "إنني أنقذت لأن مقري موجود في الحي المسلم، ونائب قنصل فرنسا مع زوجته عندي وقناصل فرنسا وروسيا واليونان لدى الأمير عبد القادر، وقد لجأ حوالي 4000 مسيحي إلى القلعة وهكذا تبدو حالات القتل قليلة، ولقد نوه جميع الشهود بصورة خاصة بدور الأمير حيث فتح كل فج لطرق بابه، وقام بجولة في المدينة لحماية الهاربين، والذين هم بدون ملجأ طالبهم بالانضمام إلى القافلة الصغيرة التي نظمها تحت حراسة جزائرية، وانطلق بها لإنقاذ القناصل والرعايا الفرنسيين المقيمين في دمشق"، قتمكن الأمير في الأخير من إنقاذ الآلاف من المسيحيين، وبذلك أنقذ دمشق والشام من حرب عاصفة، وأنقذ الإنسانية من شرور الحقد والانتقام كان يطول مداه لولا جهود هذا الرجل.<sup>40</sup>

هذا العمل الذي أقدم عليه الأمير أثنى عليه العديد من الملوك والشخصيات الدينية، لأنه عكس أسى قيم التسامح والإنسانية، ومن الشهود العيان الذين أثنوا عليه قال أحدهم: "على أن الأرض لم تقفر من الكرام في ذلك الزمان المر، ولا يخلو زمان مهما كثر توحش أهله من بقية تبقى من أهل الفضل والمروءة. وقد وجد في وسط أولئك الوحوش الظالمين رجل عظيم المقام، رفيع القدر، عالي الهمة، كثير

التاريخية بالوقوف على محطة من محطات حياته الإنسانية منها لتأسى به ويكون قدوة في التاريخ.

إن القيم الإنسانية للأمير عبد القادر الجزائري جعلته نموذجا رائعا لحوار الحضارات والأديان منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وإلى يومنا هذا بقي هذا النموذج صرح تاريخي وشاهد إنساني وأخلاقي تتغنى به معظم منظمات حقوق الإنسان العالمية حاليا.

سجل التاريخ لشخصية الأمير صورة من صور التسامح والإنسانية ومواقفه المتعددة التي فصلنا فيها، حيث لا ينساه له التاريخ، فقد استطاع الأمير بهذه الخصال الإنسانية النبيلة أن يجمع في جهاده ما بين التصدي للغزو الصليبي الفرنسي بسيفه في ساحة المعركة، وبين إسهامه بالقلم عن طريق الكتابة في عملية تجديد الفكر الإسلامي، وإيقاظ المسلمين، ويمكن اعتباره بحق بهذه الخاصية الجهادية نموذج المبكر في تاريخ الفكر الجزائري الحديث الذي جسده بكل قوة وصدق ووضوح ذلك التلاحم ما بين الدين والوطن. وقد أعده بعض الباحثين بهذه المميزات واحدا من أبرز أعلام اليقظة العامة في العالم العربي الإسلامي وفي العصر الحديث، فيعد الأمير نموذجا للإنسان الحضاري على مستويات عديدة بحيث أن محاربته للعدو الفرنسي بالسلاح عبرت عن وعيه ونبله الأخلاقي، فقد كانت أحكامه قائمة على قوة القانون العادلة أي يحتكم إلى الواجب الديني الإنساني.

على ثرى سوريا يسلم الصادق، المتسامح، العطوف الحنون، والعالم الأديب والشاعر والعسكري والفارس روحه الطيبة لبارئها، في منتصف ليلة 19 رجب 1300 هـ الموافق ل 23 ماي 1883 عن عمر ناهز 76 عاما، وقد دفن بجوار الشيخ ابن عربي بالصالحية بدمشق تلبية لوصية تركها، وبعد الاستقلال يلف الجسد الطاهر بالعلم الوطني بكل فخر لينقل الجثمان إلى الجزائر عام 1965 ويدفن في مقبرة العالية بمربع الشهداء، رحمه الله.

#### قائمة المراجع:

##### • الكتب:

- بن السبع عبد الرزاق ، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع، 2000.
- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس.
- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع 2007.

حماية الحي المسيحي، على الرغم من أنه من الصعوبة بمكان إنقاذ مدينة بكاملها من المسيحيين بعدد قليل من أنصار الأمير، ومع ذلك بإيمانه وصدق معاملته مع الناس، والسمعة التي حظي بها أهله لأن يصل إلى الغاية التي مكنته من تحقيق الهدف بتأمين الاستقرار والسلم للمسيحيين.<sup>42</sup>

لقد بلغ الأمير مبلغا راقيا في العفو والتسامح مع الآخرين بما فهم أعداؤه من أهل بلاده ومن خارجها، وعمل على الإصلاح بين الناس على اختلاف أديانهم، ونبذ الطائفية حيثما كانت، مما جعله يتبوأ مكانة عظيمة بين الناس والأمم، إذ نال بعد إقامته الصلح بين المسلمين والمسيحيين في الشام، وسام الجوقفة الفرنسي، ووسام صليب النسر الأبيض الروسي، ووسام صليب المخلص اليوناني، وأهدته ملكة بريطانيا بندقية مرصعة بالذهب، وغيرها.

وقد كان رده على هذه الأوسمة والتقديرية لشخصه وعمله النبيل بأن ذلك من واجبه، وأن دين الإسلام وواجب الإنسانية هما سببان رئيسيان دفعاه إلى التخلق بروح التسامح والعفو، والدعوة إلى الإصلاح ونصرة الضعيف مهما تكن جنسيته أو دينه أو عنصره أو عرقه أو لغته.

ومن تلك الردود ما قاله مخاطبا ملكة بريطانيا بعد أن كرمته بتلك البندقية المرصعة بالذهب: "إنني لم أفعل إلا ما توجبه علي فرائض الدين، ولوازم الإنسانية"، فانهاالت على الأمير التكريمات من كل جانب، ولاقى استحسانا عالميا، إذ لم يستعمل السيف إلا دفاعا عن الأرض، ومحاربة الاحتلال، لكنه يحمل في اليد الأخرى سيف العدل الذي حمى به المستضعفين من الموالين والمعارضين، ودافع عن المسيحيين في الشام، فكان بحق ممثلا لوجه الإسلام المتسامح.<sup>43</sup>

#### خاتمة:

في تتبع كرونولوجيا خطوات إنسانية الأمير عبد القادر أشيد فخرا ومبينا أن:

الأمير عبد القادر بنى صروحا من السؤدد والمعرفة السياسية والعسكرية والإدارية والأخلاقية الإنسانية اسمه محفور في ذاكرة التاريخ، ذو قيمة معنوية ومادية، إسقاطاتها وانعكاساتها التاريخية للأجيال، ذكرا وتثمينا وتمجيذا لمنجزاته عبر صفحات حياته، كونه المرجعية وحنكة في العلم والسياسة والأخلاق، يعجز اللسان عن تقدير وتقييم أعمال السيد الرجل الأمير إلا بذكر الفضل والثناء على شخصه ومآثره اعترافا منا لإحياء ذكره المتأججة لتسطير أمجاده

- محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، ترجمة محمد يحياتن، منشورات ANEP.
- KADDACHE Mahfoud. Emir Abdel Kader Collection Art Et Culture. Imprime A Madrid Sur Les Presses D'Altamira. Rotopress. Mai 1974.
- ABOUAMRANE Chikh. Edit Hammouda. Emir Abdel Kader Résistant Et Humaniste. Alger. 2000.
- **المقالات:**
- حرشوش كريمة، النسب والتنشئة وتأثيرهما على إنسانية الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة عصور، جامعة وهران، العدد 34-35 أبريل-2017.
- شريف عبد القادر، تجليات التسامح والتعايش في حياة الأمير عبد القادر من خلال تراثه الأدبي والسياسي، مجلة أدبيات، جامعة الشلف، المجلد 1، العدد 2، 2019.
- نابي بوعلي، التسامح وأبعاده في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 6، العدد 2.
- لعرج جبران، الأمير عبد القادر الإنسان، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 4، ديسمبر 2011، جامعة سيدي بلعباس.
- الميلي عبد القادر، سلوكيات وأخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري وجنده في الحرب: "معاملة أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 9، العدد 1، 2019.
- قوراري سليمان، شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات، مجلة الحقيقة، المجلد 13، العدد 31.
- مزهود سليم، أخلاقية التعامل مع الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 6، العدد 2، ديسمبر 2020.
- دوحة عبد القادر، إسهام الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 5، ديسمبر 2010.
- شافو رضوان، قيم التسامح والعفو والوفاء بالعهود في رسائل الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021.
- سعد الله عمر، الأمير عبد القادر الجزائري وظهور القانون الدولي الإنساني المعاصر، مجلة المصادر، المجلد 10، العدد 17.
- بن جبور محمد، البعد الإنساني للمقاومة في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021.
- بن داود إبراهيم، قواعد القانون الدولي الإنساني ودور الأمير عبد القادر الجزائري في إرسائها، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 5، العدد 1.
- قلايلية العربي، البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال كتاب (حياة الأمير عبد القادر) لـ "شارل هنري تشرشل" ترجمة أبي القاسم سعد الله، مجلة المعيار، المركز الجامعي تيسمسيلت، العدد 2، ديسمبر 2010.
- حرشوش كريمة، أخلاقيات وإنسانية الأمير عبد القادر في الحرب: "تعامله مع أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021.
- ملاح أحمد، الأمير عبد القادر بين الإنسانية والروحانية، مجلة الكلمة، المجلد 7، العدد 66، لبنان 2010.
- بلحنافي جوهر، قيم السلم والتسامح في فكر وسلوك الأمير عبد القادر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، العدد 10، جوان 2016.
- طاعة سعد، دور الأمير عبد القادر الإنساني في أزمة الشام الطائفية سنة 1860، مجلة قضايا تاريخية، المجلد 2، العدد 1، 2017.
- فيدوح عبد القادر، البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021.
- **الأطروحات:**
- بسايبس(قويدر)، الفكر الوطني والتحرير عند الأمير عبد القادر، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة سيدي بلعباس، 2016/2015.

. الهوامش:

<sup>2</sup> حرشوش كريمة، النسب والتنشئة وتأثيرهما على إنسانية الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة عصور، جامعة وهران، العدد 34-35 أبريل-2017، ص ص (422-439).

<sup>1</sup> عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع، 2000، ص ص(11-12).

- <sup>23</sup> بن جبور محمد، البعد الإنساني للمقاومة في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021، ص (98-110).
- <sup>24</sup> بن داود إبراهيم، قواعد القانون الدولي الإنساني ودور الأمير عبد القادر الجزائري في إرسائها، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 5، العدد 1، ص (6-18).
- <sup>25</sup> شريف عبد القادر، المرجع السابق، ص (21-30).
- <sup>26</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص (131-132).
- <sup>27</sup> قلايلية العربي، البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال كتاب (حياة الأمير عبد القادر) لـ "شارل هنري تشرشل" ترجمة أبي القاسم سعد الله، مجلة المعيار، المركز الجامعي تيسمسيلت، العدد 2، ديسمبر 2010، ص (163-182).
- <sup>28</sup> درعي فاطمة، النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021، ص (137-146).
- <sup>29</sup> حرشوش كريمة، المرجع السابق، ص (422-439).
- <sup>30</sup> شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 205.
- <sup>31</sup> شافو رضوان، المرجع السابق، ص (206-213).
- <sup>32</sup> رابع تريكي، من أعلام الجهاد الإسلامي في الجزائر، الأمير عبد القادر الجزائري وأثر البيئة والتربية التي نشأ فيها في تكوين شخصيته، مجلة الثقافة، العدد 88، السنة 15، جويلية-أوت 1985، ص 118.
- <sup>33</sup> حرشوش كريمة، أخلاقيات وإنسانية الأمير عبد القادر في الحرب: "تعامله مع أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021، ص (24-32).
- <sup>34</sup> ملاح أحمد، الأمير عبد القادر بين الإنسانية والروحانية، مجلة الكلمة، المجلد 7، العدد 66، لبنان 2010، ص (91-107).
- <sup>35</sup> حرشوش كريمة، أخلاقيات وإنسانية الأمير عبد القادر في الحرب: "تعامله مع أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا"، المرجع السابق، ص (24-32).
- <sup>36</sup> محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، ترجمة محمد يحياتن، منشورات ANEP، ص 60.
- <sup>37</sup> بلحنافي جوهر، قيم السلم والتسامح في فكر وسلوك الأمير عبد القادر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، العدد 10، جوان 2016، ص (158-172).
- <sup>38</sup> شريف عبد القادر، المرجع السابق، ص (21-30).
- <sup>39</sup> مزهود سليم، المرجع السابق، ص (60-77).
- <sup>40</sup> طاعة سعد، دور الأمير عبد القادر الإنساني في أزمة الشام الطائفية سنة 1860، مجلة قضايا تاريخية، المجلد 2، العدد 1، 2017، ص (40-49).
- <sup>41</sup> ABOUAMRANE Chikh. Edit Hammouda. Emir Abdel Kader Résistant Et Humaniste. Alger. 2000. p106.

- <sup>3</sup> KADDACHE Mahfoud. Emir Abdel Kader Collection Art Et Culture. Imprime A Madrid Sur Les Presses D'Altamira. Rotopress. Mai 1974. p10.
- <sup>4</sup> شريف عبد القادر، تجليات التسامح والتعايش في حياة الأمير عبد القادر من خلال تراثه الأدبي والسياسي، مجلة أدبيات، جامعة الشلف، المجلد 1، العدد 2، 2019، ص (21-30).
- <sup>5</sup> شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 61.
- <sup>6</sup> حرشوش كريمة، المرجع السابق، ص (422-439).
- <sup>7</sup> نابي بوعلي، التسامح وأبعاده في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 6، العدد 2، ص (52-58).
- <sup>8</sup> لعرج جبران، الأمير عبد القادر الإنسان، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 4، ديسمبر 2011، جامعة سيدي بلعباس، ص (25-42).
- <sup>9</sup> أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع 2007، ص (131-132).
- <sup>10</sup> الميلىق عبد القادر، سلوكيات وأخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري وجنده في الحرب: "معاملة أسرى الحرب من الفرنسيين أنموذجا"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 9، العدد 1، 2019، ص (149-172).
- <sup>11</sup> قوراري سليمان، شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات، مجلة الحقيقة، المجلد 13، العدد 31، ص (50-82).
- <sup>12</sup> KADDACHE Mahfoud. Op.cit. p 39.
- <sup>13</sup> مزهود سليم، أخلاقية التعامل مع الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 6، العدد 2، ديسمبر 2020، ص (60-77).
- <sup>14</sup> دوحة عبد القادر، إسهام الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 5، ديسمبر 2010، ص (297-305).
- <sup>15</sup> شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 107.
- <sup>16</sup> بسايبس(قويدر)، الفكر الوطني والتحريري عند الأمير عبد القادر، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة سيدي بلعباس، 2015/2016، ص 86.
- <sup>17</sup> نفسه، ص 128.
- <sup>18</sup> مزهود سليم، المرجع السابق، ص (60-77).
- <sup>19</sup> نابي بوعلي، المرجع السابق، ص (52-58).
- <sup>20</sup> شافو رضوان، قيم التسامح والعفو والوفاء بالعهود في رسائل الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2، ماي 2021، ص (206-213).
- <sup>21</sup> الميلىق عبد القادر، المرجع السابق، ص (149-172).
- <sup>22</sup> سعد الله عمر، الأمير عبد القادر الجزائري وظهور القانون الدولي الإنساني المعاصر، مجلة المصادر، المجلد 10، العدد 17، ص (31-60).



<sup>42</sup> فيدوح عبد القادر، البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر،

مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، العدد 2،

ماي 2021، صص(66-74).

<sup>43</sup> مزهود سليم، المرجع السابق، صص(60-77).